الفصل الثامن

فى سرعة أجوبة الأذكياء وعبارت الفضلاء

□ الثقة لا ينمّ !! :

● قال رجل للأحنف بن قيس : أخبرنى ثِقَةٌ عنك بسوء ، قال له : الثقة لا ينم .

□ هدم ما بناه غيرنا ! :

● وأمر أمير المؤمنين الرشيد يحيى بن خالد بهدم إيوان كسرى !، فقال يحيى ابن خالد :ياأمير المؤمنين ما الحاجة إلى هدم بُنيان يدل على فخامة شأن بانيه ؟! فقال :اهدمه ولا تراجعنى فيه !، فَحسبَ مقدارُ ما يُصرِف على هَدْمِه فجاء جملة كثيرة ، فاستكثرها الرشيد ورجع عن ذلك ، فقال له يحيى : ما كان أغناك عن ظهور عجزك عن هدم ما بناه غيرك ! .

□ كلها بقيت إلاّ كتفها :

● وقالت عائشة – رضى الله عنها – : ذبحنا شاة وتصدقنا بها فقلت : يارسول الله مابقى منها شىء إلاَّ كتفها ، فقال رسول الله – ﷺ – : « **كلها بقيت إلاَّ كتفها** »[1].

□ أنا أكرَمُ على الله ! :

● وقيل للمسيح – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – : لو سألت الله أن يرزقك حمارًا يحمل رحلَك ، فقال : « **أنا أكرم على الله أن يجعلنى خادِمَ حِمار** » .

---

(١) هذا حديث صحيح أخرجه الترمذى عن عائشة (٢٤٧٢) وصححه محقق رياض الصالحين للنووى (ص ٢٧٥/ط مؤسسة الرسالة) .

□ ومن يعرف إخوانى القدماء ؟! :

● وقيل ليحيى بن خالد : غيِّر حاجبك ، فقال : ومن يعرف إخوانى القدماء ؟! .

□ لم غرر بك أبوك فى الحرب ؟! :

● وقال رجل لمحمد – ابن الحنفية – بن علىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – : لِمَ غرر بك أبوك فى الحروب و لم يغرر بالحسن والحسين ؟ فقال : لأنهما عَيْنَاه وأنا يمينه فهو يدفع بيمينه عن عينيه ؟.

□ ما دينك ؟ :

● وسأل الحسن بن سهل بن دينار عبد الله بن عبد الملك : ما دينُك ؟ فقال : ما ظننت أن حيًّا يُسْأَل عن هذه المسألة ، لأنها مسألة « منكر ونكير » للميت ، دينى الإسلام وطاعة الأمير .

□ أشد ما يمر بمن فقد بَصَره :

● وقال المتوكل لأبى العيناء : ما أشد ما مرَّ عليك فى ذهاب بصرك ؟ قال : فوتُ رؤيتك ياأمير المؤمنين !، فاستحسنها منه وأمر له بجائزة ! .

□ كيف سُرِق الحمار ؟! :

● وغاب أبو العيناء عن المتوكل مدة ثم دخل عليه فقال له : ما أقْعَدَك عنَّا ياأبا العيناء ؟! قال : سُرِق حمارى ياأمير المؤمنين ، قال : كيف سرق ؟ فقال : ما كنت مع اللص فأعرف كيف سرقه ، قال : فما منعك أن تزورَنا على غيره ؟ قال : ثلاث ياأمير المؤمنين ، قال : ماهن ؟ قال : قِلّة يَسَارى ، ومِنّة العَوارى ، وذِلّة المكارى[1].

---

(١) قلة يسارى : اليسار اليُسْر والمال ضد العسر ، فهو قليل اليسار ولا يجد ما يساعده على الذهاب إليه . والعوارى جمع عارية ، وهى الشىء المستعار من الغير وفى استعارة دابة تحملنى منّة للغير علىّ ، والمكارى من يؤجر الدواب لكى يركبها الناس .

□ حمار أبى العيناء وحمير الناس ! :

● وقيل لأبى العيناء : ما بَالُ الحمِير إذا أُحَسّت بالرجوع إلى مرابطها والقرب من دور أهلها أسرعت المشى وتركت البطء والتخابث ! إلا حمارك ياأبا العيناء إذا قرب من دارك تخابث فى المشى ؟ قال : لعلمه بسوء المنقلب ! .

□ ما بال شدقك أعوج ؟! :

● وأضاف بعض البخلاء قومًا فلما أكلوا نظر إلى واحد منهم وقال له : ما بال شدقك أعوج[1]؟ قال : عقوبة من الله لكثرة ثنائى عليك بالباطل ، لأنى أقول للناس إنك كريم .

□ هَلُمّ ياعمرو ؟ :

● ودخَل عمرو بن العاص على معاوية وهو يتغدى فقال : هلم ياعمرو فقال : هنيئاً ياأمير المؤمنين فإنى لم يبق فىَّ فضلة للأكل .

فقال معاوية : ما أقبح الرجل إذا مَلأ جوفَه حتى لم يبق فيه فضلة .

فقال : ياأمير المؤمنين فِىَّ فضلة وإنما أخشى إلى أن أصيرَ إلى ما استقبحه أمير المؤمنين .

□ البيت الذى لم يحتفل به المأمون

● وقال عبد الله بن أبى السمط لعُمارة : مالى أرى المأمون لا يُحسِنُ سماعَ الشعر ؟ فقال عمارة : ومَن أفرس فيه منه ؟! والله إنا لننشده البيت من الشعر فيسبقنا إلى آخره ولم يكن سَمِعَه قط !.

قال : فما بالى أنشدته بيتاً فلم يحتفل به ، ولا تحرك لسماعه ؟ فقال عمارة : وما البيت ؟ فقال عبد الله :

أَضْحَى إمامُ الهدى المأمونُ مشتغلاً بالدينِ والناسُ بالدنيا مشاغيلُ

قال : ما قلت شيئاً ، إنما جعلتَه عجوزاً فى محرابه وفى يده سُبحته ! فمن يقوم بأمر المؤمنين إذا كان مشغولاً عن رعيته ؟! .

لم لا قلت كما قال جرير فى عبد العزيز بن مَرْوَان حين قال :

---

(١) لكل منا شدقان ، وهما جانبا الفم .

فلا هو فى الدنيا مُضَيِّعٌ نصيبَهُ ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدين شَاغِلُهْ[1]

□ رجل يجب أن يكون مع القواعد من النساء ! :

● وقال المبرد[2]: أتى رجل إلى عَامل البصرة وكان هذا العامل قد ولّاه المنصور الإجراء[3] على القواعد من النساء اللاتى لا أزواج لهن ، وعلى العميان والأيتام ، فقال : أسألك أيها العامل أن تُثَبِّتَنى مع القواعد من النساء ، قال : ياهذا أنت رجل والقواعد نساء ! .

قال : ففى العميان ، قال : فإنى أراك بعينين ، لكن فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور قال : فثبت أولادى فى الأيتام !، قال : كيف يكون أولادك أيتاماً وأنت تعيش لهم ؟! .

قال :ومَرَّتِ الأيام فإذا هو قد أثبته مع العميان وأثبت أولاده مع الأيتام .

□ أنا ابن جدك آدم ! :

● ووقف رجل للواثق بالله فقال : ياأمير المؤمنين ؛ صِلْ رَحِمَك ، وارحم أقاربَك ، وأكْرم رجلاً من أهلك !.

قال : من أنت فإنى لم أعرفك قبل اليوم ؟! فقال : أنا ابن جَدّك آدم !، قال : ياغلام أعطه درهمًا ، فقال : ياأمير المؤمنين وما أصنع به ؟ قال : إنى لو قسمت بيت المال على إخوتك من أولاد جَدّى . من آدم – لكان ينوبك منه حبة ، فقال : لله دَرُّك ياأميرَ المؤمنين ما أذكاك ؛ فأمر له بعطاء وانصرف ! .

□ كيف كان حال أمك حين حملتك ؟! :

● ومرَّ جرير على جماعة نسوة وهو راكب على بغلة ، وهُنَّ يَغْسِلْن على بعض المياه ، فضَرِطَتْ البغلة ؛ فضَحِكَت النّسوة ، فقال جرير لهن : أما علمتن

---

(١) ذكر الطبرى هذه القصة فى تاريخ (٨/٦٦٢ - ٦٦٣) أما بيت جرير فهو فى ديوانه (ص ٤٣٥) .

(٢) المبرد : أحد علماء اللغة وله مصنفات كثيرة فى الأدب منها : «الكامل» توفى سنة ٢٨٥ هـ وتجد له ترجمة كاملة فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (ص ١٠٨) .

(٣) يُجرى عليهن من بيت المال ما يقوم بحاجتهن ويفى بمطالبهن وهو شبيه بمعاش الضمان الاجتماعى فى عصرنا .

أن كل أنثى تحملنى تفعل كما فعلت هذه البغلة ؟!،فقالت واحدة منهن : كيف كان حالُ أُمِّك حين حملتك تسعة أشهر ؟!.

□ أفلا أبكى على ولد أكسبنى مثلك ؟! :

● وقيل : دخل المأمون على أم الفضل بنت سهل وقد مات ولدهما الفضل : أما تَرْضَيْنَ أن أكون لك عوضًا من ابنك ؟ قالت : أفلا أبكى على ولدٍ أكْسَبَنِى مثلَك ؟! .

□ لو كنت كذلك لم تقله !! :

● قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لرجل : من سيد قومك ؟ فقال : أنا يأمير المؤمنين ، فقال له عمر : لو كنتَ كذلكَ لم تقله ! .

□ إنك لحليم رزين !! :

● وقال معاوية للحصين بن المنذر[1] ــ وكان يدخل عليه فى آخر الناس – : ما الذى يبطىء بك إلى آخر الناس ، وأنت أحق بالتقدم بالدخول علىَّ ، فقال منشداً :

وكُلُّ خفيفِ الشأنِ يَمْشِى مُشَمِّراً إذا فتح البَوّابُ بابَك إصبعا
ونحن جلوس ماكثون رزانــةً وحِلْمًا إلى أن يُفْتَحَ البابُ[2] أجمعا

فقال معاوية : إنك لحليم رزين .

□ السلام عليك ياأمير المؤمنين ! :

● وخرج أمير المؤمنين العباسى السفاح متنزهًا بالأنبار ، فأمعن فى تنزهه وانفرد عن أصحابه فوافى خِبَاءً لأعرابى ، فقال للأعرابى : من أنت ؟ أصاحب هذا الخباء ؟ قال : نعم ، فمن أى القبائل أنت ؟ قال : مِن كِنانة : قال : من أيها أنت ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة ، قال : تكون قرشيًّا ، قال : فمن أيها أنت ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : تكون من ولد

---

(١) فارس شاعر كان معه راية على يوم صِفِّين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكان من كبار التابعين .

(٢) تجد هذين البيتين فى البيان والتبيين للجاحظ (٢/١٩٠) .

عبد المطلب ، قال : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فاستحسن ما رآه من حِذقه[1]، وأمر له بجائزة حسنة .

□ يخطب فى الأرض السُّفلىٰ ! :

● وقال المتوكل يومًا لجلسائه : أتعلمون أول ما عتبَ الناس ، قال : عثمان بن عفان – رضى الله عنه – قالوا : ياأمير المؤمنين بماذا ؟ قال : لأنه لَمَّا توفى رسول الله – ﷺ – قام أبو بكر يخطب على المنبر ، دون مقام رسول الله – ﷺ – بدرجة ، فلما ولى عمر بن الخطاب نزل عن مقام أبى بكر درجة ، فلما ولى عثمان – رضى الله عنه – صعد على أعلى المنبر مكان رسول الله – ﷺ – فأنكر المسلمون عليه ذلك ، وكان المراد أن يكون دون درجة عمر – رضى الله عنه – فقال عبادة : ياأمير المؤمنين ما أحدٌ أعظمَ منَّةً عليك من عثمان – رضى الله عنه – قال : وكيف ذلك ؟ قال : كونه صعد المنبر فَرقِىَ أعلاه ، ولو كان كل من ولى نزل عن مقام من تقدمه درجة كنت أنت اليوم تخطب على الأرض السفلى !.

□ هكذا تؤلمك إذا جمعت ! :

● وسأل رجل فقيهًا عن الخمر أحلال هى أم حرام ؟ فقال له : حرام ، قال الرجل : ما تقول فى العنب والزبيب والتمر أحلال هى أم حرام ؟ فقال له : حلال ، قال : فما تقول فى السُّكّر والقَند[2] والعسل ؟ قال : حلال ، قال : فأى شيء حلل هذا وحرم هذا ؟!، فقال الفقيه : أرأيتَ لو أخذت كفًا من تراب ، ولطمت به وجهك أو صدرك أكان يُؤلمك ؟!.

قال : لا ، قال : فلو أخذت كفًا من تِبْن أكان يؤلمك ؟ قال : لا ، [قال] : فلو أخذت الترابَ والتِّبنَ والماءَ فجمعتهما وجَبَلْتهما ووضعتهما فى الشمس أيَّامًا ثم ضربت بها وجهك ، أكان يؤلمك ؟ قال : نعم ، قال : وهكذا إذا جمع هذا وعتق حرم ، وإذا جمع هذا وعتق آلم .

---

(١) حِذقه : مهارته ، وذكائه .

(٢) القَند : عَسَلُ قصب السكر إذا جَمُد .

□ أسئلة وجهت إلى الإمام الشافعى – رضى الله عنه – :

● وكتب بعض علماء الإمام مالك – رضى الله عنه – للإمام الشافعى – رضى الله عنه – : ياإمام لى خالة وأنا خالها ، ولى عمة وأنا عم لها ، فأما التى أنا عم لها فإنها التى أمه أمها وأبوها أخى وأخوها أبى على سنة قد جرى رسمها . وأما التى أنا خال لها فإن أبا الأم جَدّ لها ولسنا مجوسًا ولا مشركين بل سنة الحق نَأْتَمُّهَا ؛ فأين الإمام الذى عنده حِلّها فى التناكح أو أين من يحمل علما يبين لنا كيف أنسابنا ومن أين كان كذا حكمها ؟ .

فكتب إليه الإمام – رضى الله عنه – : القائل لهذه المسألة رجل تزوجت جدته لأبيه – يعنى أم أبيه – بأخيه لأمه ، وتزوجت أخته لأبيه بأبى أمه ، وأَوْلَدَاهما بنتاً وابناً فبقيت جدته عمته وهو عمها ، وبنت أخته خالته وهو خالها .

□ ما تقول ياإمام فى الفَرض وفرض الفرض ؟! :

● وكتب له بعض علماء الإمام مالك – رحمه الله – : ياإمام ، ما تقول فى الفرض وفرض الفرض ، وما يتم به الفرض ، وصلاة لا فَرْض ، وصلاة تركها فرض ، وصلاة بالطول والعرض ، وصلاة بين السماء والأرض؟! فكتب – رضى الله عنه – : أما قول القائل الفرض : فهو الخَمْسُ صلوات ، أما فرض الفرض : فهو الوضوء .

وأما قوله : ما يتم به الفرض : فهو الصلاة على رسول الله – ﷺ –.

وأما قوله : صلاة لا فرض : فهى صلاة الصغير قبل البلوغ .

وأما الصلاة التى تركها فرض : فهى صلاة السَّكران .

وأما الصلاة التى بالطول والعرض فهى صلاة يونس فى بطن الحوت .

وأما الصلاة التى بين السماء والأرض فهى صلاة رسول الله – ﷺ – ليلة المعراج .

□ أكُلَّ العلم سمعت ؟! :

● وتكلم شاب يَومًا فى مجلس الشعبى ، فقال الشعبى : ما سمعنا بهذا ، فقال الشاب : أكل العلم سمعت ؟ قال : لا ، قال : فشَطْرَه ؟ قال : لا ، قال : فاجعل هذا فى الشطر الذى لم تسمعه ، فأُفْحِمَ الشعبى ! .

□ الويل لك ....! :

● وحملت امرأة يزيد فقالت له - وكان قبيح الصورة - : الويل لك إن كان يشبهك ، فقال لها : والويل لك إن لم يشبهنى ! .

□ لقد حان خروج الدجال ! :

● ورأى رجلٌ من الأعاجم رجلا أعور فقال له : قد حان خروج الدجال : فقال له : إنه يخرج من بلاد الأعاجم لامن بلاد العرب ! .

● واستأجر رجل غلامًا ليخدمه فقال له : كم أجرتك ؟ فقال : أشبع بطنى فقال : سامحنى !، فقال : أصوم الاثنين والخميس .

□ وأكرمُ نفسى ! :

● وحكى الأصمعى قال : اجتزت - يعنى مررت - يوماً فى بعض سكك الكوفة وإذا برجل قد خرج من حُشٍّ[1] وعلى كتفه جَرّة وهو يقول :

وأُكرم نفسى إننى إن أهَنتُها وحقِّكِ لم تُكرمْ على أحدٍ بعدى

قال : فقلت له : تكرمها بماذا ؟ وبما أنت فيه ؟ فقال : نعم وأستغنى عن سِفْلة مثلك إذا سألت تقول صنع الله لك ، فقلت تراه عرفنى ، فأسرعتُ فصاح بى : ياأصمعى ، فالتفت فقال :

لَنَقْلُ الصَخْرِ مِنْ قُلَلِ الجِبال أحبُّ إلَىَّ من منن الرجالِ[2]
يقول الناس إن الكسب فيه عار وكُلُّ العـار فى ذُلّ السؤالِ

□ رَدُّ قاسٍ ! :

● وافتخر قوم من أهل اليمن عند هشام بن عبد الملك فقال لخالد بن صفوان : أجبهم ، فقال : هم بين حَائِكِ بُرْدٍ ، ودَابغ جِلْدٍ ، وسايس قِرْدٍ ، ملكتهم امرأة ، ودل عليهم هُدهد ، وغرقتهم فأرة[3].

---

(١) الحُشّ : الكنيف .

(٢) القُلل : جمع قُلّة وهى أعلى الجبل وقمته ، والمَنن جمع مِنّة .

(٣) وهذا لا يمنع من أن يكون لليمنيين فضلهم ودورهم فى خدمة الإسلام ونشره ، ومنهم علماء أفاضل ! .

□ لماذا تأخر إسلامه : :

● وقيل : كان حويطب بن عبد العُزى قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة[1]، ستين فى الجاهلية وستين فى الإسلام ، فلما ولى مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب ، فقال له مروان : ماسنك ؟ فأخبره فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث ، فقال : والله لقد هممتُ بالإسلام غير مَرّة كل ذلك يعوقنى أبوك عنه وينهانى ويقول : تدع دين آبائك لدين محدث . قال : فأُسْكِتَ مَرْوَان وندمَ على ما كان . ثم قال حويطب : أما أخبرك عثمان ما كان لقى من أبيك ، فازداد مروان غَمًّا ! .

□ أحمق ما يكون الشيخ ! :

● وقال مروان لحبيش بن دُلْجَة : أظنك أحمق ، فقال : أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه .

□ هذا رجل لُقّن حجته !! :

● قال :.حدثنى رجل من أهل الرّقة عن عبد الملك بن عمر قال : أخذ زياد رجلاً من الخوارج فأفلت منه ؛ فأخذ أخاً له فقال : إن جئت بأخيك وإلّا ضربت عنقك ، قال : أرأيت إن جئتُ بكتاب من أمير المؤمنين تُخْلى سبيلى ؟ قال : نعم ، قال : أنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى – عليهما السلام – ﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ [النجم : ٣٦ – ٣٨] فقال زياد : خلوا سبيله ، هذا رجل لُقّن حُجَّتَه !.

□ ماذا قيل فىّ ؟! :

● ودخل مخَنث على العريان بن الهيثم وهو أمير الكوفة فقال : ياعدوَّ الله أتَتَخَنّث وأنت مُشَيّخ ؟! فقال : مكذوب علىَّ كما كُذِبَ على الأمير أعزه الله ، فاستوى جالسًا وقال : وما قيل فىّ ؟ قال : سموك العريان وأنت صاحب عشرين جبة ! .

(١) بالرجوع إلى من عاش ١٢٠ سنة من الصحابة لابن منده نجد أن «حويطب بن عبد العزى» لم يدرك زمن مروان بن الحكم فقد توفى سنة ٥٤ هـ فى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

□ **أحسنت إلى العصفور !** :

● ورمى رجل عصفوراً فأخطأه فقال له رجل آخر : أحسنت ، فغضب الرامى وقال : أتهزأ بى ؟ فقال : لا ولكن أحسنت إلى العصفور إذ لم تَصِدْه .

□ **مِنْ هذا أضحك !!** :

● وحكى أن رجلاً أضاف رجلاً فبيّته فى داره ، فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الضّيف من أعلى الدار ! فصاح به : فلان ، فقال : لبيك ، فقال له :إنك كنت أسفل الدار !، فقال : تدحرجتُ ، فقال : الناس يتدحرجون من العلو إلى السّفل ، فكيف تدحرجت أنت ؟! قال : فمن هذا أضحك !! .

□ **كيف لا أعرفهما ؟!** :

● وقال رجل لبعض المغنين : والله ما تعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثانى . فقال : وكيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك .

□ **هكذا اليهود !** :

● وقال صبى ليهودى : قف ياعم حتى أصفعك ، فقال : أنا مستعجل اصفع أخى ! .

□ **ما تصنع فى هذه القرية !** :

● ودخل فقير إلى قرية فقيل له : ما تصنع فى هذه القرية ؟ فقال : ما صنع موسى والخَضِر – يعنى : أستطعم[1] أهلها .

□ **بل اتبعانى أنتما !** :

● واستدعى رجل مغنيين إلى بيته فلما جلسا وأرادا أن يغنيا قال أحدهما للآخر : اتبعنى ، فقال الآخر : لا بل اتبعنى أنت ، فلما طال ذلك بينهما قام صاحب الدار فوقف على الباب ، وقال : بل اتبعانى أنتما .

---

(١) أطلب منهم أن يطعمونى .